# مِنْ أَمْجَادِ الْجَزَائِرِ

(1962 - 1830)

سِلْسِلَة تَارِيخِيَة ثَقَافِيَة تَصْدُرُ عَنْ وَزَارَة الْمُجَاهِدِينَ

الشَّهِيدُ

# بُوزِيدْ سَعَّالْ

1945 - 1919

منشورات المتحف الوطني للمجاهد

# تصدير

تصدر هذه السلسلة التاريخية المخصصة للشهداء الرموز الذين يزخر بهم تاريخ المقاومة والثورة التحريرية، لتنير أمام الأجيال ولاسيما الشباب معالم درب النضال والجهاد الذي شقه ملايين الشهداء الأبرار بدمائهم الزكية، وعبدوه بأجسادهم الطاهرة ليكون معبرا للجزائر ولشعبها إلى الحرية والاستقلال.

تعد هذه السلسلة مساهمة من وزارة المجاهدين في بناء الذاكرة الجماعية وإثرائها، تعزيزا للجهود التي ما فتئت الدولة الجزائرية تبذلها من أجل الحفاظ على الهوية الوطنية، ودعم تواصل الأجيال وتلاحمها.

أرجو أن يجد الشباب الجزائري في هذه السلسلة ما يروي عطشه لمعرفة تاريخ بلاده وتضحيات شعبه خلال المقاومة والثورة التحريرية التي تعتبر مرحلة هامة في تاريخه المجيد.

محمد الشريف عباس

وزير المجاهدين

حقوق التأليف والنشر محفوظة للمتحف الوطني للمجاهد 2009
ر . د . م . ك : 978-9961-884-39-3
الإيداع القانوني : 2009-5870

المتحف الوطني للمجاهد

ص .ب 168 – المدنية – الجزائر
الهاتف : 00.213.021 . 66. 92. 08 – 65 . 45. 06
الفاكس : 00.213.021 . 66 . 91 . 54

BP 168 EL - MADANIA - ALGER
TÉL : 00.213.021.66. 92.08-65.45.06
FAX:00.213.021.66.91.54

البريد الإلكتروني :Email: mnm@museenat-moudjahid.dz

الشهيد

# بوزيد سعال

1945 - 1919

تُعَدُّ مُظاهَراتُ 08 ماي 1945 التي ارْتَبَطَ اسْتِشْهَادُ سعّال بوزيد بها، حَدَثًا تَاريخيّا هامّا في تَاريخِ الجزائرِ، لأنّها أكَّدَتْ للشَّعْبِ الجزائريّ أنّ فَرنسا لا تَحْتَرِمُ وُعودَها ولا تَعْترِفُ بِحَقّ الشَّعْبِ المَهْضُومِ في أنْ يُعَبِّرَ عن مَطالبِه، بَلْ هِيَ مَاضِيَةٌ في تَعنُّتِها وتَجَبُّرِها. لذلك صَمَّمَ الشَّعْبُ الجزائريُّ بَعْدَ هذه المَجازِرِ على التَّعْجيلِ بإعْلانِ المُوَاجَهَةِ المُسَلَّحَةِ مَعَهَا، لاسْتِرْجَاعِ حَقِّهِ في الحُرِّيَّةِ والاسْتِقْلال.

وَلتبْيَانِ الدَّوْرِ التَّاريخيّ لهذه المُظاهَراتِ وإبْرازِ رَمْزِيَّةِ نِضَالِ الشَّابِّ سعّال بوزيد الذي قَدَّمَ حَيَاتَهُ مع بِدايَةِ المُظَاهَرات فداءً للعَلَمِ الوَطنيّ الذي ظَلَّ يَحْمِلُهُ وَرَصَاصَاتُ العَدُوِّ

تَخْتَرِقُ صَدْرَهُ؛ لِتبْيَانِ ذلك، يَتَحَتَّمُ اسْتعْرَاضُ جَانبٍ مِنْ تلك المجَازِرِ، وَكيف بَدَأَ قَمْعُ الْمُتَظَاهِرِينَ الذين كان في مُقَدِّمَتِهم سعّال بوزيد.

انْطَلَقَتِ الْمُظَاهَرَاتُ صَبِيحَةَ يَوْمِ الثَّامِنِ من ماي 1945 بِالقُرْبِ من أَحَدِ مَسَاجِدِ مَدِينَةِ سطيف بِحُضورِ أَعْدادٍ كَبِيرَةٍ من الْمُواطنينَ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لدَعْوَةِ الْحَرَكَةِ الوَطَنِيّة، لتَنْظِيمِ مُظَاهراتٍ احْتِفَالِيَّةٍ بِمُنَاسَبَةِ انتِهاءِ الحَرْبِ العَالَمِيَّةِ الثَّانِيَة.

انْطَلَقَ هؤلاء الْمُتَظَاهِرُونَ وهُمْ يَحْمِلُونَ شِعَارَاتٍ تُمَجِّدُ الحُرِّيَّةَ والسَّلامَ، وتُطَالِبُ بِالاسْتِقْلال. خلالَ الْمُظَاهَرَةِ رُفِعَ العَلَمُ الوطنيّ لأَوَّلِ مَرَّةٍ تَعْبِيراً عن كَوْنِ الشَّعْبِ الجزائريّ أمَّةً

لها عَلَمُها وكِيَانُها وَمَطَالِبُها بالحَقّ في العَيْشِ الْكَرِيمِ. وكان فِي مُقَدِّمَةِ الْمُتَظاهِرِينَ، الكَشَّافُ سعّال بوزيد الذي كان يَحْمِلُ الْعَلَمَ الوطنيّ.

جَنَّدَتْ فَرنسا كُلَّ قُوّاتها لِقَمْعِ الْمُتَظاهِرِينَ الَّذِينَ خَرَجُوا للتَّعْبِيرِ عن سُرورِهم بِنِهَايَةِ الحَرْبِ مُسْتَغلّينَ الفُرْصَةَ لِرَفْعِ المَطالِبِ الَّتِي ظَلُّوا يُطالِبُون بِهَا، أَلاَ وَهِيَ الحَقُّ فِي الحرِّيَّة والكَرَامة، تلكَ المطالبُ الشّرعيّةُ الَّتِي وَعَدَتْ فَرَنْسَا بِالاسْتجابةِ لَها بَعْدَ نِهايةِ الحرب.

هَزَّتْ هذه المظاهراتُ وَمَا أَعْقَبَهَا نُفُوسَ الجزائريِّينَ مِنَ الأعْمَاق، فَأَخَذُوا يُراجِعُون حِسَابَاتِهم مَعَ فَرنسا وَمَعَ وُعُودِها، فَتَوصّلُوا إلى حَقيقَةٍ ظَلُّوا يُرَدّدُونَها: «وَهِيَ أَنَّ مَا أُخِذَ بِالقُوَّةِ لاَ يُسْتَرَدُّ إلاّ بِالقُوَّة».

وَلَكِنْ مَا قِصَّةُ سَعَّال بُوزِيد الشَّهِيدِ الأوَّلِ فِي هذه المُظَاهَرَات؟

عَادَ سعّال بوزيد إلى المَنْزِلِ في سَاعَةٍ مُتَأخِّرَةٍ من لَيْلَة 08 ماي 1945؛ فوَجَدَ أمَّهُ في انْتظَارِه لتُقَدِّمَ لَهُ الْعَشَاءَ، وتَطْمَئِنَّ عليه قَبْلَ أنْ تَأوِيَ إلى فِرَاشِها. وكَانَتْ أمُّهُ قَبْلَ أن يَرْجِعَ إلى المَنْزِل تَتَسَاءَلُ مع نَفْسِهَا قَائِلَةً: لقَدْ أدَّى المُصَلُّونَ صَلاَةَ العِشَاءِ فِي المَسَاجِدِ مُنْذُ أكْثَرَ من سَاعَتَيْنِ تَقْرِيبًا، فماذا يَفْعَلُ بوزيد حتّى الْآن يا تُرى؟! لقد أغْلقَتْ أبْوَابُ المَسَاجِدِ بَعْدَ الصَّلاة، وكذلك مَقَرُّ فَرْعِ الكَشَّافَةِ الذي يَتَرَدَّدُ عليه، فأيْنَ يَكُون؟!

وكُلَّمَا انْقَضَى جُزْءٌ من اللَّيْلِ ازْدَادَ قَلَقُهَا، واشْتَدَّتْ حَيْرَتُهَا، فاقْتَرَبَتْ من النَّافِذَةِ آمِلَةً أنْ

تَلْمَحَ شَبَحَهُ على ضَوْءِ المَصَابيحِ الخَافت. دَقَّقَت النَّظَرَ طَويلاً لَكنَّهَا لمْ تَرَ أَحَداً؛ لَقَدْ خَلَت الشَّوارِعُ مِنَ المَارَّة، ولمْ يَعُدْ يَظْهَرُ فيهَا أَحَدٌ. تَعبَتْ من طُولِ الانْتظَار، فَأَوَتْ إلى الْفرَاش عَلَّها تَسْتَريحُ وتَنَامُ قَليلاً، لَكنَّ النَّوْمَ هَجَرَ عَيْنَيْهَا، فَبَقيَتْ تَتَقَلَّبُ في فِرَاشِها. وبَعْدَ مُدَّةٍ سَمعَتْ صَريرَ الْبَابِ الْخارجيّ رَغْمَ أنّ بوزيدَ كَانَ يُحَاولُ أن يَفْتَحَهُ بِلُطْف، حتى لا يُزْعِجَ أَحَداً؛ لأنّه ظنّ أنَّ الجَميعَ نيَامٌ، فنَهَضَتِ الأُمُّ وعاتَبَتْهُ قَائلَةً: ما هذا التَّأَخُّرُ، يا بوزيد؟ ماذا كُنْتَ تَعْمَلُ حتى الْآنَ؟

رَدَّ عليها بأدَب: قُلْتُ لَك يَا أمّي، لا تَقْلَقي عَلَيَّ، إنّني صِرْتُ رَاشِداً، لَقَدْ تَجَاوَزَ عُمُرِي مُنْتَصَفَ العَقْدِ الثَّالث.

وقَبْلَ أنْ تَرُدَّ عليه رَاحَ يُحاولُ صَرْفَ اهْتمَامِها عن المَوْضُوعِ، فقَالَ : إنّي جَائعٌ جِدّا يا أمِّي، هَلْ بَقِيَ شَيْءٌ مِنَ الأكْلِ؟

قَالَتْ له: صَارَ الطَّعَامُ بَارِداً من طُولِ انْتِظَارِك، فَهُوَ يَحتَاجُ إلى تَسْخِينِه.

قَالَ: لا عليكِ يا أمِّي، سَأتَوَلَّى بنَفْسي ذلك، عُودِي الآنَ إلى النَّوْمِ، فقَدْ تَعِبْتِ مِنْ طُولِ السَّهَرِ.

ثمّ نَظَرَ إليها، وشَعَرَ بأنّها ما تَزَالُ قَلقَةً فاعْتَذَرَ لَهَا من جَدِيدٍ، وقَبَّلَ رَأسَها مُحَاوِلاً إرْضَاءَها.

فقَالَتْ وهِيَ تَكْظِمُ مَشَاعِرَهَا: إنّ تَأخُّرَكَ هذا قَدْ أقْلَقَنِي جِدّا، فلا تَعُدْ إلى هذا

الفِعْـلِ مَـرَّةً ثَانـيَة.

لمْ تَكُـنِ الأمُّ تَعْلَمُ سَـبَبَ تَـأخُّرِ بُـوزِيدْ لـذلك إنْتَابَهَا القَلَقُ وَدَخَلَهَا الخَوْفُ مِن هَذَا التَأخُّرِ.

وَالحَقِيقَةُ أنَّ سَبَبَ تَأخُّرِ بوزيد عن الْعَوْدَة إلى المَنْزِلِ هو رَغْبَتُهُ في رُؤْيَةِ الْعَلَمِ الْوَطنيّ الّذي لم يَكُنْ يَعْرِفُهُ مِنْ قَبْلُ، والّذِي سَتَحْمِلُهُ جُمُوعُ الْمُتَظاهِرينَ مع الشِّعارات الوَطنيَّة التي تُنَادي بالحُرِّيَّة وَالاسْتِقْلاَل، وتُطَالِبُ بِحقّ الجزائريّينَ في العَيْشِ الْكَرِيمِ وَالْمُسَاوَاة.

ولَمَّا وَصَلَ الْمُنَاضِلُونَ الّذين أَحْضَرُوا الْعَلَمَ الوطنيَّ ورَآهُ بوزيد وتأمَّلَ أَلْوَانَهُ، دَاخَلَتْهُ طُمَأنِينَةٌ خَاصَّةٌ، فَابْتَهَجَ لذَلكَ، لاَ سيَّمَا بَعْدَ أنْ عَرَفَ أنّهُ هُوَ الّذِي سَيَحْمِلُهُ بنَفْسِهِ أثْنَاءَ

الْمُظَاهَرَة، ويَسيرُ به في طَليعَة الْمُتَظاهرين. فبَاتَ لَيْلَتَهُ يَحْلُمُ بهذا الاسْتعْرَاض، وفي الصَّبَاح اسْتَيْقَظَ بَاكراً كعَادَته وَتَوَجَّهَ إلى مَسْجد الْحَيِّ. وبَعْدَ أدَاء الصَّلاة رَجَعَ إلى الْمَنْزل لتَنَاوُل فَطُوره، ثُمَّ حَاوَلَ أنْ يُدَاعبَ أمَّهُ بكَلمَات قَائلاً لها: يَبْدُو أنَّك مَازلْت غَاضبَةً عَلَيَّ بسَبَب تَأخُّري الْبَارحَةَ؟ قَالَتْ: لَنْ يَزُولَ غَضَبي إلاّ إذَا وَعَدْتَني وَعْداً صَادقًا بألاَّ تَعودَ مَرَّةً أخْرَى إلى ذَلكَ، فقَالَ: أعدُك بأنَّني لَنْ أتَأخَّرَ بَعْدَ اليَوْم إلاّ بَعْدَ الْحُصُول على إذْنٍ مُسْبَقٍ منْك، وقَبَّلَ رَأسَها ثَانيَةً ثمَّ نَهَضَ اسْتعْدَاداً للخُرُوج، فقَالَتْ: إلى أين تَذْهَبُ في هذه السَّاعَة؟ أجَابَها: اليَوْمَ سَتُشَارِكُ الكَشَّافَةُ في اسْتعْرَاضٍ كَبيرٍ يَسيرُ عَبْرَ شَوَارعِ المدينة، للمُشَاركَة في

الاحْتفَال بمُنَاسَبَة انْتهَاء الحَرْب العَالَميَّة الثَّانيَة، وعلَيَّ أنْ أذْهَبَ إلى مَقَرِّ الكَشَّافَة قَبْلَ أنْ تُوَزَّعَ البَدَلاَتُ الّتِي تُعْطَى لَنَا لِنَرْتَدِيهَا في هذا الاسْتِعْرَاض.

خَرَجَ بوزيد مُسْرِعًا من المَنْزِل، حتى يكونَ ضمْنَ الْفَوْجِ الْكَشْفِي الأوَّل الذي سَيُشَارِكُ في المُظَاهَرَة الاحْتفَاليَّة بتلْكَ المُنَاسَبَة، أمّا الأمُّ فقَدْ عَاوَدَهَا الْقَلَقُ من جَديد حينَ عَلمَتْ أنَّه ذَاهبٌ إلى المُشَاركَة في الْمُظَاهَرَة، وازْدَادَ قَلَقُها عندما أخْبَرَتْها جَارَتُها "صَليحَة" بأنّها سَمعَتْ زَوْجَها يَتَحدَّثُ مع أخيه عن مُظَاهَرات كَبيرَة، سَتَعْرفُها كَثيرٌ من المُدن الجزائريّة، وأبْدَى تَخَوُّفَهُ من رَدّ فعْلِ السُّلُطات الفَرَنْسيَّة.

فَرَدَّتْ عليها: وهذا ما يُقْلِقُني، لأنَّ

الْبُولِيسَ سَيَقِفُ فِي طَرِيقِهِم وَلَنْ يَسْمَحَ لَهُمْ بِالْمُظَاهَرَةِ. لَقَدْ تَأَخَّرَ الْبَارِحَةَ كَثِيراً عن المَنْزِلِ وقَلِقْتُ بِسَبَبِ ذلك قَلَقًا شَدِيداً، ولَمْ يَطْمَئِنَّ قَلْبِي إلاّ بَعْدَ عَوْدَتِه، وهَا هُوَ ذَا اليَومَ يُسرِعُ لِيَلْتَحِقَ بِأفْوَاجِ الكَشَّافَةِ؛ ولَسْتُ أدْرِي مَتَى يَعُود.

طَمْأنَتْها جَارَتُها، وقَالَتْ: لا تَقْلَقِي، إِنَّهُ مع رِفَاقِه.

تَنَهَّدَتِ الأمُّ، ورَاحَتْ تَتَحدَّثُ مع جَارَتِها فقَالَتْ:

لن أنْسَى الظُّروفَ الصَّعْبَةَ الّتِي مَرَّ بها بوزيد مُنْذُ ولاَدَتِه في جانفي 1919؛ كانتْ ظُرُوفُ المْعيشَةِ قَاسِيَةً، لمْ أجِدْ وَسَائلَ الْعَيْشِ الّتِي تُسَاعِدُنِي عَلَى تَرْبِيتِهِ، وتَحْمِيهِ من شِدَّةِ

البَرْدِ والجُوعِ، وتمكّنُهُ من أن يَحْيَا حَيَاةً عَاديَّةً، مِثْلَ الحَيَاةِ الّتي يَحيَاها الأطْفالُ فِي سنِّه، لَقَدْ تَعِبْتُ كَثِيراً في رِعَايَتِه، لذلك تَرَيْنَنِي قَلِقَةً عليه أكْثَر.

ورَغْمَ قَسَاوَةِ الظّروفِ الّتِي كُنَّا عليها لمْ يُهْمِلْهُ أبُوهُ، بَلْ حَرَصَ على تَرْبِيَته تَرْبِيَةً إسْلاَمِيَّةً؛ حَيْثُ ألْحَقَهُ بِالْكُتَّاب لِيَحْفَظَ ما تَيَسَّرَ من القُرآنِ الكَرِيمِ، ولَمَّا بَلَغَ السَّنَةَ السَّادِسَةَ سَجَّلَهُ بالمدرسة الْفَرنسيّة، لِيَتَعَلَّمَ كأقْرَانه من أبْنَاء الحَيِّ. وكانَ أبوهُ يَأملُ في أن يَسْتَمِرَّ فِي التَّعَلُّمِ، لكنَّهُ انْقَطَعَ عن الدّراسة قَبْل الحُصول على الشَّهادَة الابْتدائيَّة، لأنَّ ظُرُوفَنا المَادِّيَّةَ لمْ تَسْمَحْ لهُ بمُواصَلَة التَّعلُّمِ، فاضْطَرَّتْهُ الظُّروفُ إلى العَمَلِ وهوَ صَغِيرٌ، لأنّنا

كُنَّا بحاجَةٍ إلى مُساعَدَته، ولكنَّ العَمَلَ لمْ يَصْرِف اهْتمَامَهُ عن النَّشاطِ الكَشْفيّ، فانْخَرَطَ في الفَرْعِ المَوْجودِ بالحَيّ الّذي نَسْكُنهُ، فغَيَّرَ ذلك مَجْرَى حَياته، وازْدادَ اهْتِمامُهُ بأوْضاعِ البِلاد.

في الْوَقْتِ الّذي كَانَت الأمُّ تَتَحَدَّثُ مع جارتِها وَتَحْكِي لها الظُّروفَ الّتي مَرَّ بها بوزيد، كانَ هُو في مُقَدِّمَة صُفوف المُتَظاهرينَ، يَحْملُ العَلَمَ الجزائريَّ بكلْتَا يَديْه، ويَنْتَظرُ إذْنَ المُنَظِّمينَ بالمَسيرِ نحوَ مَقامِ الجُنْديِّ المَجْهولِ، بالقُرْبِ من الجامعِ العَتيقِ [أبو ذرّ الغفاري حاليًا]. كَانَ عنْدَمَا يَشْعُرُ بحَرارَةِ الشَّمْسِ وبالتَّعَبِ من طُولِ الانْتظَار، يَقولُ في نَفْسه: إنّه لَشَرَفٌ كَبيرٌ أنْ أكُونَ أوَّلَ مَنْ يَحْملُ الْعَلَمَ

الجزائريَّ، ويُشارِكُ في مَراسِمِ أداءِ التَّحيَّةِ لأرْواحِ الجُنودِ الجزائريّين، الّذين سَقَطُوا أثْنَاءَ الحَرْبِ.

لَقَد اعْتَرَفَتْ فَرَنْسَا بدَوْرِهم البُطُوليّ في إحْرازِ الحُلَفاءِ النَّصْرَ على أَلمَانيَا، فسَمَحَتْ لنا بهذه المُظاهَرَةِ لنُعَبِّرَ عن فَرْحَتِنا كمَا فَعلَتِ الشُّعوبُ المُنْتَصِرَةِ.

كانتْ جُموعُ المُشاركينَ تَتوالَى على المَدينَةِ شَيْئًا فشَيْئًا، وكُلّمَا ازْدَادَتِ الجُموعُ، تَضاعَفَ عَدَدُ البُوليس والجَنْدَرْمَةِ والعَساكِر. كان بوزيد يَظُنُّ أنَّ هذه القُوَّاتِ حَضَرَتْ للحفاظ على النّظامِ، والْمُشَاركَةِ في أداءِ التَّحيَّةِ للجُنْديِّ المَجْهولِ، وكَانَ عنْدَمَا يَلْتَفتُ إلى الوَرَاءِ، يَرَى بَعْضَ المُشارِكِينَ من وَرائِهِ يَرْفَعُونَ لافِتَاتٍ،

كُتبَ عليها «الاسْتقْلالُ للشَّعْبِ الجزائريِّ»، «يَحْيَا الشَّعْبُ الجزائريُّ»، «نُريدُ المُساواةَ»، فيَقُولُ في نَفْسه: كُلُّ هذه المطَالبِ شَرْعيَّةٌ، وسَتَفي بها فَرَنْسَا تَقْديراً لدَوْرِ الجزائريّينَ في الْمَعْركَة ضدَّ عَدُوَّتها أَلْمَانْيَا. كُلَّمَا مَرَّ الوَقْتُ وارْتَفَعَتِ الشَّمسُ ازْدَادَ شَوْقُهُ إلى رُؤْيَة الجَميعِ وهُمْ يُؤَدّونَ التَّحيَّةَ للجُنْديِّ المَجْهول، والعَلَمُ الجزائريُّ يُرَفْرفُ فَوْقَ رؤُوسهم. وفي لَحْظَةٍ منَ اللَّحظَات خَطَرَتْ بباله الفكْرَةُ الآتيةُ: تُرَى ما هُوَ النَّشيدُ الّذي سَيُرَدّدُهُ المُشاركونَ أثْنَاءَ أداء التَّحيَّة؟ تَذكَّرَ شعارَ «نُريد المساواة»، فَقَالَ: المساواةُ تَقْتَضي أَنْ يُؤَدّى النّشيدُ الجزائريُّ مع النَّشيد الفرنسيُّ، وأنْ يُرْفَعَ العَلَمُ الجزائريُّ إلى جَانبِ العَلَمِ الفرنسيِّ، وإلاَّ فمَا مَعْنَى

المُساواة؟! للفرنسيّينَ وَطَنُهُم، ولَنَا وَطَنُنَا، ولَهُم عَلَمُهم، ولنَا عَلَمُنا، ولهم لُغَتُهم، ولَنا لُغَتُنا، ولهم دِينُهم، ولَنا دِينُنا، ولهم ضَحايَاهم في الحَرْبِ ولنا ضَحَايَانا أيضًا. لمْ يَكُنْ يَدْرِي شَيْئًا عنِ الشَّرِّ الّذي بَيَّتَتْهُ السُّلُطاتُ الفَرَنْسيَّةُ لتَرُدَّ بِهِ على المُتَظاهِرينَ. لَقَدْ أبْطَرَتْها نعْمَةُ النَّصْرِ على ألمانيا، فأنْسَتْها الوَفاءَ بالوَعْدِ الّذي وَعَدَتْ بِهِ الجزائريّينَ عنْدَمَا كَانَتْ تُجنّدُ شَبَابَهم لمُجَابَهَةِ ألْمانيَا النَّازِيَّة.

وفي هذه الأثْناء صَدَرَ الأمْرُ للمُشاركينَ في المُظاهَرَة بالانْطلاَق، فكَانَ سعّال بوزيد في المُقَدِّمَةِ رَافِعَ الرَّأسِ ثَابِتَ الْخُطَى، يَمْلأ جَوَانحَهُ الفَخْرُ والاعْتزَازُ. ومن حينٍ لآخَرَ كانَ يَخْتَلسُ النَّظَرَ إلى عَناصِرِ البُوليس والجَنْدَرْمَةِ، فيَجِدُهم

يَنْظرونَ إلى العَلَمِ وَعُيُونُهُمْ تَشْتَعِلُ غَيْظًا وَحِقْدًا، فلَمّا مَرّ بِضَابِطِ البوليس أَمَرَهُ برَمْيِ العَلَمِ على الأرضِ. تَجَاهَل بوزيد الأمْرَ في البِدايَة، واسْتَغْرَبَ طَلَبَهُ؛ كَيْفَ يَقُولُ لي: ارْمِ العَلَمَ على الأرْضِ؟! هذه إهانَةٌ كَبِيرَةٌ، هل يَرْمِي أحَدٌ عَلَمَ بِلادِه على الأرْضِ؟ ماذا يَفْعَلُونَ لو رَأَوْنِي أرْمِي عَلَمَ بِلادِهم على الأرْضِ؟ ليَقُلْ مَثَلاً: اطْوِ العَلَمَ، أو اخْفِ العَلَمَ. العَلَمُ يُطْوَى ولا يُرْمَى. لَعَلَّهُ لم يَفْهَمْ شعارَ «نُرِيدُ المُساواةَ». صَرَخَ الضَّابِطُ في وَجْهِهِ مَرَّةً أخْرَى: قُلْتُ لك ارْمِ العَلَمَ من يَدِيْكَ، رَدَّ عليه سعّال بوزيد هذه المَرَّةَ قَائِلاً: لا أسْتَطِيعُ أن أرْمِيَ عَلَمَ بِلاَدِي على الأرْض.

لَمْ يَتَمالَكَ الضَّابِطُ الفَرَنسِيُّ نَفْسَهُ، فأخْرَجَ

مُسَدَّسَهُ، ووَجَّهَهُ نَحْوَ سعّال بوزيد، وَأَطْلَقَ منْه رَصاصَةً واحِدَةً، حَاوَلَ أنْ يَصْمُدَ لها، فظَلَّ واقِفًا لكَيْ لاَ يَسْقُطَ العَلَمُ من يَدَيْه. لكنَّ الضّابطَ أطْلَقَ رَصاصَةً أخْرَى، فتَرَنَّحَ بوزيد، قبل أن يَسْقُطَ على الأرْضِ والعَلَمُ بَيْنَ يَدَيْه.

أسْرَعَ إليه زُمَلاؤُهُ فَأخَذُوا الْعَلَمَ منْ بَيْنِ يَدَيْه، وَحَاوَلُوا إسْعَافَهُ، لَكنَّ الأجَلَ أدْرَكَهُ في الحين. فارْتَفَعَتْ زَغَاريدُ النِّسْوَة مُعَبِّرَةً عَنْ سُقوط الشَّهيد الأوَّل في هذه المُواجَهَة، وارْتَفَعَت الهُتَافَاتُ في كُلِّ نَاحِيَّةٍ، ورَدَّدَ بَعْضُهم الأناشيدَ الوَطنيّة.

سَمعَت الأمُّ أنَّ القُوَّات الفرنسيَّةَ قَدْ أطْلَقَت النَّارَ على المُتَظاهرينَ، فاضْطَرَبَ قَلْبُها خَوْفًا على مَصيرِ ابْنِها، فَخَرَجَتْ مُسْرِعَةً، وتَوَجَّهَتْ

نَحْوَ الجُموعِ الحَاشِدَةِ تَسْتَطْلِعُ الخَبَرَ عَمَّا حَدَثَ. رَأَتْ من بَعيدٍ مَجْموعَةً منَ الرِّجالِ يَحْمِلُونَ بَيْنَ أيْديهِم شَابًّا يَرْتَدي البَدْلَةَ الكَشْفِيَّةَ، فظَنَّتْهُ جَريحًا في بِدايَةِ الأمْرِ، وازْدَادَ خَفَقَانُ قَلْبِهَا خَوْفًا منْ أنْ يَكونَ الجَريحُ هُوَ ابْنُها. عَرَفَها أحَدُهم منْ بَعيدٍ فَأقْتَرَبَ منها، وعَزَّاها في وَلَدِها. لمْ تَتَمَالَكْ نَفْسَها منَ الصَّدْمَةِ، فسَقَطَتْ مَغْشِيًّا عَلَيْها، وَحَمَلُوها مع ابْنِها إلى الْبَيْتِ.

اسْتَمَرَّتِ المُظاهَراتُ، وأطْلَقَ البوليسُ والجَنْدَرْمَةُ والعَساكرُ النَّارَ على كُلِّ المُتَظاهِرينَ دُونَ تَمْييزٍ، فَسَقَطَتْ أرْوَاحُ الكَثيرِ منَ الجزائريّينَ في شَوَارِعِ سَطِيف، وفي كَثيرٍ منَ المُدُنِ والقُرَى، لكنَّها كانَتْ أشَدَّ وَطْئًا في بَعْضِ المُدُنِ مِثْلَ: سطيف وخراطة وقالمة وعزّابة.

لقد كان يَومُ 08 ماي 1945 يَوْمًا مَشْهوداً، ومُنْعَطَفًا حَاسِمًا في تَاريخِ الجزائر، تَأكَّدَ من بَعْده الجزائريّون من أنّ مَا أخذَ بالقُوَّة لا يُسْتَرَدُّ إلاّ بالقُوَّة. ومُنْذُ ذلك الوَقْت بَدَأوا يُفَكّرونَ في تَغْيير أسْلوب المُقَاوَمَة السِّيَّاسِيَّة لعَدَم جَدْوَى ذَلكَ مع فَرَنْسَا المُتَغَطْرِسَة.

ستَبْقَى هَذه الْجَرِيمَةُ النَّكْرَاءُ وَصْمَةَ عَارٍ في جَبِينِ فَرَنْسَا الاسْتِعْمَارِيَّة.

**المجد والخلود لشهدائنا الأبرار**